الانحسار والتحديث الانعكاسي " مقاربة نظرية "

زهراء حسن كاظم

كما تعلمون ان الحداثة الأولية أحد اشكال القوة التكاملية، التي تفضي فيما بعد الى تحديد طريقة الحياة التي ترغب الدول الأخرى في محاكاتها، وتشتمل على أفكار عدة من قبيل: فتح الحدود والأسواق لحرية الحركة وراس المال، ووسائل التواصل الاجتماعي بكل مكّناتها. فمن خلال المحاكاة تفرض الدول المهيمنة نفوذها الخارجي على الدول الأخرى ذات السيادة. ولأن القوى المهيمنة تدرك أكثر من أي وقت مضى حقيقة: أن الحفاظ على ديمومة تربعها على هرم القوى العظمى بالوسائل القهرية فحسب، وانهُ من الأكفأ من ناحية الكلفة ان تمارس القيادة بالقوة التوافقية او التكاملية. الفكرة أعلاه تقودنا الى ان الحداثة بفكرتها الأشمل: " **شكل المجتمع الذي تعتبرهُ القوة المهيمنة بمثابة النموذج لما يعنيه المجتمع الحديث** ". وهو ما اعلنت عنهُ الولايات المتحدة عن نموذجها الشرق أوسطي الا وهو "**العراق**" وان كانت البداية عسكرية بحتة. الا ان تلك الحداثة جاء بارتدادات شاملة على الصعد كافة ومنها المجتمعية لنجد أنفسنا امام مقاربتين:

المقاربة الأولى: التي يمثلها " **جيدنز ولاش** " يكون فيها التحديث الانعكاسي " **مطابقًا للمعنى الحرفي** " معني اساسًا بالمعرفة والنظر في الأسس والنتائج ومشاكل الحداثة " **قوى التغيير**". وان الفضاء الاجتماعي ليس فقط مكان الفعل ولكن مكان التفكير في الفعل. الانعكاسية ها هنا هي خاصية لاي فعل إستراتيجي الذي يقود الفعل الى التصوف على الفاعل العكس بالعكس من خلال مرجع دائم بين وصف المواقف والمواقف نفسها ليتفاعل الفكر والعمل باستمرار مع بعضهما البعض كمفهوم تشغيلي في البحث الاجتماعي.

المقاربة الثانية: كتب بيك " **كل من يؤمن بعدم المعرفة يزيد المشكلات خطأً** " طبقًا لهذه الفكرة التي تبدو للوهلة الأولى مخالفة للمعنى _ المقاربة الأولى_ فأن التحديث الانعكاسي ينتج من الاثار الجانبية للتحديث. لذلك من الممكن ان نتحدث عن المقاربة الأولى للمعرفة " بالمعنى الضيق "وفي الحالة الثانية عن تأملية نقدية _تشتمل على الفعل العكسي " تعديل المسار" الى جانب المعرفةوالاوراك. ضمن " التفكير في الأخطاء، التوجه نحو المستقبل ".

اخيراً: لا غرابة ان تكون الحداثة حاملة لوجهي التأثير المقصود وغير المقصود، المنتج والمضر، طالما بدت ذات طبيعة كلية في وصفها او في عملها. ومادامت الظواهر الاجتماعية / الإستراتيجية متحولة بالأساس ويصعب حصرها بنماذج / قوالب محددة. ولها الأولوية في صياغة فوضوية الدولة داخلياً او ببساطة اقتصار التحليل على حوار الخسائر النسبية مقابل المكاسب المطلقة. وهنا لابد ان نستعين بتفكير " **كريستوف**" المتعلقة التمييز بين " **المسبب الأقوى** " و" **المسبب الأقل قوة** " من التحديث التبادلي الخاص بالانتحار حيث " **أولوية الحلول المجتمعية** " على اية " **جهد عسكري او سياسي** " لطالما انه لا اقوى من الم النفس.